

صفحات من مذكرات
احمد الحسني البغدادي
في مواجهة الدين الآخر
تنشر لأول مرة
(٩)
خطاب الزرقاوي
حرق المراحل.. والغاء المسيرة الجهادية

١ - ماهية استثناء التصفية الجسدية

س: العراق بلد المفاجئات السرية، والصدمات السريعة اللامحسوبة واللامتوقعة، ومن يفكر اليوم في ظل ما انتهى إليه حال البلد، في ظل المشروع الاميركي، ومايراد له، واستراتيجية اميركا، التي تصفي «الشيوعي بالشيوعي» و«السنني بالسنني» و«السنني بالشيوعي» و«الشيوعي بالسنني»!..

من هنا.. نسأل: أبو مصعب الزرقاوي زعيم جماعة التوحيد والجهاد «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» استثنائك «شخصياً» من التصفية الجسدية، وأنت في نظره من: «الرافضة الزنادقة»!!.. ماهي الأسباب والمسببات الجوهريّة؟!..

ج: في صيف عام ٢٠٠٦م أجرى الأخ عبد الحميد الصايح مدير برنامج «المختصر» على الشاشة البغدادية.. حواراً مفتوحاً، وقد أجبته عن ذلك صراحةً (٥) حينما سألني عن الزرقاوي بسبب «استثنائي» من التصفية الجسدية تحديداً من خلال بيانه الصارم، الذي أستهدف تكفير «الشيعة» في العراق، وقتلهم عن بكرة أبيهم سواء أكانوا في خطوط رسالية مستقيمة أم منحنية مع أشكال الالهة والاقزام المتعلقة على الساحة التاريخية!..

الزرقاوي ظاهرة إجتماعية عجيبة، تحتاج الى تحليل وتفسير، ومن المؤسف أن نرى المحللين السياسيين، ولاسيما العراقيون منهم لايهتمون بتحليل هذه الظاهرة الوافدة على هذا الوطن المغدور، كأنهم يعتبرونها شيئاً بديهيّاً أو طبيعياً، وفي الحقيقة الواقعة أنها من أكثر الالغاز غموضاً، وأشدّها حاجةً الى التوضيح.

إنني أعتقد أنّ عقلية الزرقاوي الظلامية التكفيرية نابعة من «انفصام معرفي - نفسي» حقدي على كلّ من هو «شيعي» ام «سنّي» سواء بسواء، بقدر ما هو صنيعة الإسلام المنحرف بعقائده المغلقة، وتصنيفاته العنصرية، ومشاريعه المستحيلة، وتصرفاته السوداء تحت غطاء مطاردة المرتدين، والكافرين، والمشركين.

وبعبارة ادق أفكار الزرقاوي هي الحق السلفي «المنحرف» المصدّد الى مرتبة الحق الالهي الذي يوصله الى الفردوس الاعلى ولقاء الحبيب ورؤية الله تعالى، ولم تظهر له ملامح النزعة السادية، بل ولم تظهر له ملامح النزعة الطائفية فحسب، فضحاياه الاكثر عدداً كانوا من «أهل السنة والجماعة» بيد أنّ العراقيين كلّهم هم الضحية لهذا التوجه المنحرف، ولهذا السجال والاستهداف الدموي الاستثنائي للجسد العراقي، ولا ادري أين ينتهي المطاف في ظل اصرار اميركا واروبا العنيد على تحقيق العولمة البرجماتية، الفيدرالية، الشرق أوسطية، الاصلاح، الديمقراطية، يعبر هو الآخر عن عقدة جدلية مشتركة توراثية تعبر عن نفسها فيما بعد في احتلال اميركا العراق مركز الدائرة النبوية منذ الفيض البشري النوحى.

ومهما يكن من أمر هذا كله، في بداية الاحتلال الأميركي كان لأبي مصعب الزرقاوي نشاط وتحرك قوي في مطاردة القوات العسكرية الأميركية، وهذا من وجهة نظر اسلامية، عمل رسالي أمني من مجاهدي العرب الأفغان، ولكن، بين ليلة وضحاها انقلب على عقبيه، ودخل في معارك عشائرية جانبية، وصراعات مذهبية مشجوبة ليست لصالح المجاهدين المرابطين المقاتلين، الأشداء على الكفار، الرحماء بينهم، بل تصب في خدمة أغراض العدو المجرم، وإضافة إلى ذلك، أعطى صلاحيات مطلقة للأمراء المتعصبين، ويجب تنفيذ أوامره بلا نقاش أو اعتراض تحت قاعدة «نَفَّذْ ولا تناقش»، وكان أكثرهم ممن يتعصبون لعشيرة ضدّ أخرى من أجل كسب الغنائم والمناصب. هذه المتبنيات اللاإسلامية حاصرت الفكر الوحدوي، كما حاصرت التوجه الثوري المسلح من خلال التصريحات ضدّ هذا «المذهب» أو تلك «العشيرة».

وبدأ القاضي والداني يعرفون هذا الواقع المأساوي، الذي سارت عليه الأمور بإيقاعها الدّموي حتّى الى نهاية تصحيح بيانه الاستثنائي كحدّ ثوري مفصلي في تاريخ المقاومة الثورية العراقية بعدما تحركت قوى «سنية» وطنية اسلامية مناهضة للاحتلال الأميركي - البريطاني ومقاومة له، حيث استنكرت اشد الاستنكار هذه المتبنيات السلفية التكفيرية بوصفها تستهدف إلغاء المسيرة الجهادية في العراق. من هنا اتصل بعض قيادي حزب الإصلاح والعدالة الديمقراطي بأمراء التنظيم في الموصل تحديداً، واعترضوا على خطاب أبي مصعب بوصفه بادرة غير مسبوقه على طول التاريخ، وبوصفه يتجنّى على الأديان السماوية والقوانين والأعراف الدولية، لأنّ هناك تيارات وأحزاباً «شيعية» وطنية وحدوية تساند المقاومة المشروعة ضدّ المشروع العسكري الأميركي، بل البعض منها قاومت العدو المحتل عسكرياً، لا سياسياً فحسب، مثل تيار مرجعية أحمد الحسن البغدادي، وهذا هو الخط الوطني المحمّدي الاصيل، وقدموا : موسوعة «هكذا تكلم أحمد الحسن البغدادي» هدية لأبي مصعب لقراءتها والاطلاع عليها، وبسبب هذا التنبيه تراجع عن رأيه، وأصدر بياناً استثنى رموز «شيعية» مناهضة للاحتلال ومقاومة له، وقد نشر وقتها في الصحافة العربيّة والأجنبيّة، وعلى مواقع عديدة.

إنَّ الزرقاوي في خطابه الأول عندما ظهر على شاشات التلفزة انتقد «الشيعية» ودعا إلى قتلهم دون أن يستثني أحداً منهم، بما يغيّر مشروع شيخه بن لادن تماماً من خلال خطابه على منبر قناة الجزيرة القطرية إذ ناشد أنصاره قتل «الشيعية» و «السنة» المتعاونين مع المحتل كعملاء وجواسيس، من هنا انبرى الزرقاوي يصف أهل «السنة» الذين انخرطوا في العملية السياسية بـ «المرتدين»، والمرتد من وجهة نظر إسلامية يجب قتله واستباحة دمه.

٢ - من التصفيات إلى الصحات

هذه التصريحات كلها قادت إلى نتائج سلبية لأنها أدت إلى تشرذم جماعة التوحيد والجهاد «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» بصورة عامة وانقسامها لا من خلال القواعد الشعبية فحسب، بل من خلال الرموز والقيادات العشائرية، برزت هذه الظاهرة في محافظة الأنبار حصراً لدى عددٍ من شيوخ عشائر الدليم في الرابع عشر من أيلول عام ٢٠٠٦م، بقيادة عبد الستار أبو ريشة، الذي أُغتيل في الثالث عشر من تشرين ثانٍ ٢٠٠٧م، قرب مضيفه، ثمَّ غدت هذه الظاهرة مترامية الأطراف في مدننا العراقية، وأطلقت على ذاتها اسم: «قوات صحوة العراق» بعد أن وجدت دعماً لوجستياً ومالياً واستخباراتياً وتعبوياً وسياسياً وإعلامياً من المحتلين الأمريكيين حصراً.. وهذه المساندة لم تكن موضع ترحيب لدى حكومة الاحتلال الرابعة، ولا سيما تيار الائتلاف الموحد، الذي أعلن على الملأ هواجسه من امتداد دور صحوة العشائر عمودياً وأفقياً، واعتبر أن المساندة الأميركية لتلك المجالس يقود البلاد إلى نشر بذور الطائفية وتجذيرها، ومن خلالها تهدد السلم الأهلي، وحينما توسع نفوذ هذه المجالس الصحوية، وأفرزت مردودات إيجابية على صعيد المواجهة الميدانية ضد نفوذ القاعدة هنا أو هناك، طالبوا بنفوذ ملموس في المشاركة الفعلية في تسيير دفة الحكومة العراقية، وقد عدَّ شيوخ العشائر الانبارية أنها تستحق أن ترشح وزراء للحكومة بدلاً عن الوزراء الذين استقالوا في الخامس عشر من تشرين ثانٍ عام ٢٠٠٧م.

ولا نكون نبالغ إذا قلنا: إنَّ هذه المجالس أحدثت إرتباكاً في الوضع العام، وتساعدت الشكوك والخلافات حول المهام والأدوار التي تقوم بها، وأصبح نفوذها وعلاقتها بالمقاومة العملية والسياسية الوطنية منها والإسلامية ضد الاحتلال موقع شكوك وعلامات استفهام حول مقاصدها ومآربها على المدى البعيد.

نعم.. لقد جُنِّدَ إثنان وسبعون ألفاً ومائة وخمسون متطوعاً في «قوات صحوة العراق المسلحة»، ويدفع لكل واحدٍ منها مخصصات شهرية تبلغ ثلاثمائة دولار أميركي هذا أولاً.. وثانياً: مائة وواحد وثلاثون مجموعة تعمل مع القوات العسكرية الأميركية وباشرفها، في مناطق عديدة في العراق، لا يحق للحكومة العراقية التدخل في أعمالها، أو وضع المطبات في طريقها.. ومن الصعوبة بمكان استئناف تلك التكتلات، التي تحمل البندقية المقاتلة إلى وضعها الطبيعي، وبالتالي تكون معادلة الصحوة كقوة عشائرية يحسب لها ألف حساب وحساب بوصفها تمتلك نفوذاً ودوراً فاعلاً حيال عددٍ من التوازنات الأخرى، وفي مقدمتها وجود «الميليشيات» المسلحة للأطراف العاملة في بلاد الرافدين في معادلة صعبة مرعبة، وهذه هي الحقيقة التي لا يمكن إسقاطها.

سُبْحَانَ اللَّهِ.. هذا هو التشجيع الأميركي لتجذير العصبية القبلية، وقبلها توظيف الطائفية بين العراقيين مع وجود «الميليشيات» المسلحة، والعشائر، التي سُلِّحَتْ لتكون في النهاية تهديداً مباشراً لوحدة مستقبل الوطن وسيادته المستقلة، ومصدر لديمومة الصراعات وتصعيدها بأشكالها المختلفة.

وباختصار: هدفنا الاستراتيجي، كمجاهدين ومقاومين، هو طرد المحتلين الأوغاد من عراق العروبة والإسلام سياسياً وثقافياً وعسكرياً، وبالتالي إقامة الدولة الإسلامية التي تمثل قرار الأمة وإرادة الأمة وعقل الأمة التحرري الشوري الانتلافي الجبهوي، لا العقل الطائفي التخديري الاستحماري الخرافي الموروث الذي يحرسه وعاظ السلاطين.

وهذا بخلاف أن جماعة التوحيد والجهاد «تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين» هدفها هو ملاحقة الأميركيين واستهداف قواعدهم العسكرية ومنشآتهم الحيوية وتجمعاتهم الشعبوية في أصقاع الأرض كُلِّها، لا تحرير الأوطان العربيَّة والإسلامية من هيمنة الاستكبار والكفر العالمي - والكلام ليس اطلاقياً - ذلك كُلُّه بسبب اتهامهم بنسف مركز التجارة العالمي، ووزارة البنتاغون، وبسبب هزيمة حكومة حركة طالبان في أفغانستان.

أما نحن، فإننا لا نستهدف الشعوب الأميركية، بل نحن نقاوم الإدارات الأميركية المتصهينة والحماقات الطاغوتية، التي تحاول أن تفرض علينا «الفوضى الخلاقة» و «الليبرالية الجديدة»، وذلك كُلُّه في سبيل تطبيق العولمة بمختلف صورها الليبرالية المتوحشة ونصف الليبرالية، بل وحتى الليبرالية المخففة المقنعة بعنوان: «اقتصاد السوق الاجتماعي» القائمة على أساس هيمنة الرأسمالية الامبريالية على مستضعفي العالم، ونسف الحواجز أمام امتداداتها السياسية واللوجستية والاقتصادية التي تنم عن تعصبٍ توراثي غربي دفين في سبيل أبعاد المفاهيم الانسانية عن التكنولوجيا والحياة، والقضاء عليها، وإظهارها كخطر إرهابي يهدد السلم العالمي.

٢ - الزرقاوي: وهم ام حقيقة؟

س: ماهي العلة حينما نراك تؤكد أن الزرقاوي شخصية «وهمية» وأنه قُتِلَ مع جماعة أنصار الإسلام شمال العراق إبان احتلال اميركا وادي الرافدين الجريح؟!..

ج: قصدت من ذلك أن أكذب الأقاويل والمزاعم الباطلة، التي يطلقها شيوخ الفضائيات، والنخب العربيَّة، والمراكز الاستراتيجية المشبوهة التي تزعم أن الذين يقاتلون هم العرب الأفغان وحدهم، وتريد أن توهم الرأي العام أن أبناء الأمة على العموم يؤيدون المشروع الأميركي في المنطقة ويساندونه، أما عن موقفي من هذه المسألة، فأنا أعتز بكلّ المجاهدين المرابطين العرب والمسلمين غير العراقيين الذين يناهضون الاحتلال، لا الذين يفجرون أنفسهم بالأحزمة النَّاسفة، والسيارات المفخخة على الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ.